

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

دروس في بيان مقامات اهل البيت عليهم السلام في كتاب الآداب المعنوية للصلاة للإمام
الخميني قدس سره الشريف

يا زهراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لولاية عليّ و آل عليّ افضل المناهج و المسالك و الطرائق , و الصلاة على سيّد كل صامت و ناطق , سيّدنا و نبينا و حبيبا , الامين الصادق ابي القاسم محمد و آله الطيبين الاطهرين حقائق الحقائق , و اللعنة الدائمة على اعدائهم و شائئهم و مبغضهم و منكري فضائلهم و المشككين في مقاماتهم المحمودة و على اعداء شيعتهم من كل فاسق و مارق إلى يوم يُجمع فيه الخلائق .

وصل بنا الكلام في درسنا الماضي إلى ما ذكره إمام الأئمة رضوان الله تعالى عليه في الصفحة السابعة و التسعين بعد المائة حين قال (إنّ موسى في الميعاد خوطب بخطاب , فاخلع نعليك , و قد فسّر بمحبة الاهل , و الرسول الخاتم قد أمر في ميعاده بأن يُحبّ عليّاً , و في القلب من هذا السرّ جذوة ما أبرز منها شيء , توخود حديث مفصل بخوان از اين مجمل) في الدرس الماضي تناولت بعض الشيء من المعاني التي اشار إليها إمام الأئمة رضوان الله تعالى عليه في كلماته هذه حينما قال (و قد فسّر بمحبة الاهل) اشار إمام الأئمة رضوان الله تعالى عليه كما بينت في الدروس الماضية إلى ما جاء مروياً عن إمام زماننا صلوات الله و سلامه عليه بهذا الخصوص و قد ذكرت ذلك في حينها , في الدرس الماضي اشترت إلى وجود خلقيين , الخلق الاول و هم الانوار المعصومة الاولى صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , و الخلق الثاني سائر الموجودات و اشرفها ما خلقت من فاضل طينة اهل البيت عليهم افضل الصلاة و السلام و هم الانبياء و شيعة اهل البيت , شيعة اهل البيت بما فيهم الانبياء , الاوصياء , الصديقون , الاولياء و سائر الذين يقعون في هذه المرتبة , تحدّثت عن هذا المعنى و اشترت بنحو مجمل إلى خصائص الخلق الاول و إلى خصائص الخلق الثاني و إلى الفارق الكبير بين الخلقين إذ أنّ من كان في المرتبة الاولى فهو الذي يكون باباً إلى الله سبحانه و تعالى من دون سائر المخلوقات و الموجودات التي تكون في المرتبة الثانية , في مرتبة الخلق

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

الثاني , و بَيَّنْتُ أَنَّ سِنْحِيَّةَ الخلق الاول تَخْتَلِفُ عن سِنْحِيَّةِ الخلق الثاني (نَحْنُ صَنَائِعُ الله و الخَلْقُ من بَعْدُ صَنَائِعُنَا , صَنَائِعُ لَنَا) هذا المعنى وردَ في الاحاديث المعصومية الشريفة , اشْرَتْ إلى هذه المعاني .
و بَيَّنْتُ ايضاً انَّ المراد من معنى القلب في اصله في اللغَّة هو الذي يتقلَّب و هذه الطبيعة و هذه الظاهرة واضحة في قلب الإنسان و بَيَّنْتُها ايضاً , كيف انَّ الإنسان إذا ما سَيَطِر الخوف على قلبه فَكُلُّ تفكيره و كل كلامه و كل احواله و كل حواسِّه ستَكُون في هذه الدائرة , في دائرة الخوف بِحَيْثُ انَّه لا يستشعر بالامن الذي يَمْلِكُهُ الآخرون , و إذا ما تَحَوَّلَ هذا الخوف إلى امن فإنَّ الامن سَيُسيَطِر عليه بِحَيْثُ لا يستشعر الخوف الذي يغلب على الآخرين و هكذا , و القلب يتقلَّب من حال إلى آخر و قُلْنَا انَّ هذا التقلُّب لا يزول من قلب المخلوق الإنساني إلاَّ في حالة استقراره و لا تَطْمَئِنُّ القلوب إلاَّ بِذِكْرِ الله و ذِكْرُ الله في حقيقته الإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه فلا تَطْمَئِنُّ القلوب و لا يَغْمُرُها الإطمئنان إلاَّ بالمعصوم صلوات الله و سلامه عليه حينما يكون هذا القلب مشدوداً إلى ذلك الباب الذي فَتَحَهُ اللهُ إليه , إلى ذلك السبب الذي جعلهُ مُتَّصِلاً بينه سبحانه و تعالى و بين سائر مخلوقاته فَحينما يَنْفَتِحُ القلب على المعصوم صلوات الله و سلامه عليه حينئذ يَغْمُرُهُ الإطمئنان , حينئذ يَغْمُرُهُ الهدوء , و الإطمئنان و الهدوء هنا لا يعني انَّ القلب قد تَخَلَّصَ من حالة التقلُّب , إمَّا حالة التقلُّب هنا تتغيَّر , قبل ان يكون هذا القلب الإنساني مربوطاً بالإمام المعصوم فَتَقَلُّبُهُ في هذه النشأة الطبيعية و في هذه الاحوال الدنيوية المُتغيِّرة و التي تعود اسباب التغيُّر فيها إلى تغيُّر الازمنة و تغيُّر الامكنة و تغيُّر العلاقات مع الآخرين و تغيُّر الرغبات في المطاعم و المشارب و المناكح و هكذا و الآمال الدنيوية العريضة هي التي تكون سبباً اساسياً في تغيُّر حالات القلب و في تقلُّباته , إذا ما سَيَطِرَتْ حالة الإستقرار و الهدوء على هذا القلب لا يعني انَّ طبيعة التقلُّب في القلب ستزول عنه و إمَّا سيكون تقلُّب القلب بين الجمال الإلهي و بين الجلال الإلهي و اشْرَتْ إلى بعضٍ من الامثلة في حياة ائمتنا صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين لا أُعيد الاكلام , يمكنك ان تُراجع الحديث في شريط التسجيل الذي سُجِّلَ عليه الدرس الماضي .

فأجل هذه الحقيقة , لأجل حقيقة التقلُّب في المخلوق الإنساني , في قلب المخلوق الإنساني و لأجل انَّ هذا المخلوق يعيش في هذا العالم , في عالم الخلق الثاني فَكُلُّ القيود التي تربطُهُ بهذا العالم حتى القيود العاطفية كعاطفة محبة الاهل , كعاطفة محبة العترة , عترة الإنسان , موسى على نبيِّنا و آله و عليه افضل الصلاة و السلام كان قلبُهُ فيه شيء من المحبة لِعِزَّتِهِ , لأهله , فجاء الامر (فاخلع نعليك) بَجَرْدٍ من هذه المحبة فإنَّها تربطُكَ بهذا العالم , أمَّا نبيِّنا في معراجهِ , و موسى كان معراجُهُ اين ؟ كان معراجهُ في وادي

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

طوى , في ارضٍ سَيُشْرَفُهَا بعد ذلك بقرون و قرون علي صلوات الله و سلامه عليه , ان يدوسها بنعله الشريف , كان معراجُه هنا و كان الامر (فاخلع نعليك) ازل هذه المحبة من قلبك فإيها قيّد يربطك إلى هذا العالم و إذا اردت ان تكون قريبا من دائرة الخلق الاول , ان تكون في دائرة انوارهم كما في الروايات الشريفة إنما قيل لهم شيعة لأنهم خلّقوا من شعاع انوارهم , فإذا اردت ان تكون ايها الإنسان في دائرة شعاع انوارهم , في هالة نوريتهم صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين فاخلع هذه القيود و اخلع هذه الروابط و اخلع هذه الإضافات (فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس) أمّا معراج نبينا صلى الله عليه و آله و سلم فكان في وادي النور و في بساط النور و كان الامر بحب علي و كان الامر بحب العترة كما بينت في الدرس الماضي لأن كل ما في شؤونات اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , في ذواتهم او في صفاتهم او في افعالهم فهو من الله و إلى الله و بالله و على الله (و الحَقُّ فيكم و معكم و منكم و إليكم و انتم اهلُه و معدنُه) هكذا نُحاطِبُهُم في الزيارة الجامعة الكبيرة , و (مَنْ ارادَ اللهُ بِدَأْ بِكُمْ , و مَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنكُمْ , و مَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ) لأنّ الإنسان حينما يريد الوصول إلى الله لا بد ان يبدأ من نقطة كل ما في تلکم النقطة هو من الله و إلى الله و هذه النقطة اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين و لذلك (مَنْ ارادَ اللهُ بِدَأْ بِكُمْ , و مَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنكُمْ , و مَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ) و هذه الباء باء السببية (مَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ) الذي يريد ان يقصد الباري سبحانه و تعالى لا بد ان يكون متوجّها بهم و الباء باء السببية لأنّ المخلوق من سنخية الخلق الثاني لا يتمكّن ان يكون سبباً للوصول إلى الله إلاّ بواسطة هذه العلة , بواسطة الخلق الاول و هم اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , هذه المعاني في الدرس الماضي اشترت إليها و ربّما اسهبت في بعض جوانب الحديث من هذه المضامين , و في درسنا هذا اليوم نواصل الحديث من حيث انتهينا في الاسبوع الماضي , لا زال كلامنا ايضا في هذه الدائرة و لا زال كلامنا ايضا في هذا الخصوص , فيما يتعلّق بالخلق الاول و ما يتعلّق بالخلق الثاني , و إنّ اهل الخلق الثاني , إنّ اهل هذه المرتبة و اشرف اهل هذه المرتبة الانبياء , المرسلون , الملائكة المقرّبون , اشياء اهل البيت , الصديقون , الاولياء , اصحاب المعارف اليقينية , هؤلاء هم اشرف الخلائق في هذا العالم , في عالم الخلق الثاني , و عالم الخلق الثاني . كما بينت في الدرس الماضي . كل خلق و كل وجود من دون اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين و بينت لكم هذا المعنى , ربّما بعض الإخوان لم يكن قد حضر الدرس , بشكل سريع اقول , التفريق هنا بين الخلق الاول و الخلق الثاني راجع إلى الروايات الشريفة التي قالت إنّ الله كان و لم يكن معه شيء ثم تكلم بكلمة فخلق الانوار الاولى فمكثوا الف دهر , بعد ذلك بدا لله ان

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

يَخْلُقُ سَائِرَ الْخَلَائِقِ فَأَشْهَدَهُمْ خَلْقَهَا وَ اجْرَى طَاعَتَهُمْ عَلَيْهَا وَ فَوَّضَ امْرُؤَهَا إِلَيْهِمْ , إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ , فَخَلَقَ مُحَمَّدًا وَ عَلِيًّا وَ فَاطِمَةَ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَ سَلَامِهِ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِيِّينَ ثُمَّ مَكَثُوا الْفِ دَهْرًا ثُمَّ بَدَأَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ فَخَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ طُرًّا فَأَشْهَدَهُمْ خَلْقَهَا وَ اجْرَى طَاعَتَهُمْ عَلَيْهَا وَ فَوَّضَ امْرُؤَهَا إِلَيْهِمْ فَهُمْ يُحِلُّونَ مَا يَشَاءُونَ وَ هُمْ يُحَرِّمُونَ مَا يَشَاءُونَ , ثُمَّ قَالَ إِمَامُنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْجَوَادُ مُخَاطَبًا مُحَمَّدًا بْنِ سِنَانٍ , يَا مُحَمَّدُ , هَذِهِ الدِّيَانَةُ الَّتِي مَن تَقَدَّمَهَا مَرَقَ وَ مَن تَأَخَّرَ عَنْهَا مُحِقٌّ وَ مَن لَزِمَهَا لَحِقٌ , لَحِقٌ بِالْحَقِّ الدِّيَانَةُ الْحَقِيقِيَّةُ هِيَ هَذِهِ , يَا مُحَمَّدُ , مُخَاطَبًا مُحَمَّدًا بْنِ سِنَانٍ , هَذِهِ الدِّيَانَةُ الَّتِي مَن تَقَدَّمَهَا . رَفَضَ هَذِهِ الدِّيَانَةَ . مَرَقَ , وَ مَن تَأَخَّرَ عَنْهَا مُحِقٌّ وَ الْمَحِقُّ هُوَ الْمُهْلَكُ , وَ مَن لَزِمَهَا لَحِقٌ , خُذْهَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ , خُذْهَا إِلَيْكَ صَرِيحَةً وَاضِحَةً بَيِّنَةً فِي الْعَقِيدَةِ الصَّافِيَةِ الْوَاضِحَةِ .

فَهُنَا خَلْقٌ أَوَّلٌ وَ هُنَا خَلْقٌ ثَانٍ , وَ الْخَلْقُ الْأَوَّلُ الْوَلَايَةُ الْمَبْسُوطَةُ عَلَيْهِ وَ الْوَلَايَةُ اللَّهُ , أَمَّا الْخَلْقُ الثَّانِي بُسِطَتْ عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ بِالْوِاسِطَةِ وَ فَارَقَ بَيْنَ الْخَلْقَيْنِ , الْخَلْقُ الْأَوَّلُ بُسِطَتْ عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ مَبَاشَرَةً وَ لِذَلِكَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيئَةَ فَإِنَّهُ قَدْ خَلَقَهَا بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ بِالْمَشِيئَةِ , فَالْبَسِطُ الْأَوَّلُ بِنَحْوِ مَبَاشَرَةٍ عَلَى ذَوَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ , وَ الْبَسِطُ الثَّانِي كَانَ بِوِاسِطَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ , اشْرَقَتْ أَنْوَارُ الْوَلَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ بِهَذِهِ الْوِاسِطَةِ , بِوِاسِطَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَ سَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْ هُنَا جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْهُمْ (وَجْهٌ اللَّهُ) مِنْ هُنَا جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْهُمْ (قُدْرَةُ اللَّهِ) مِنْ هُنَا جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْهُمْ (وَجْهٌ اللَّهُ , جَنْبُ اللَّهِ , يَدُ اللَّهِ , نَفْسُ اللَّهِ , قَلْبُ اللَّهِ) هَذِهِ الْمَعَانِي وَرَدَتْ فِي الرَّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ , فِي رَوَايَاتِنَا الْمَعْتَبَرَةِ وَرَدَتْ هَذِهِ النَّصُوصُ وَ فِي الزِّيَارَاتِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي نَزَّوَرُ بِهَا الْأَئِمَّةَ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَ سَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ (وَ ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ) هَكَذَا تُخَاطَبُهُمْ فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ (وَ ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ) كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ فِي عَالَمِ الْخَلْقِ الثَّانِي وَ هُمْ ذَلُّوا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى , هُمْ ذَلُّوا لِلَّهِ أَمَّا عَالَمُ الْخَلْقِ الثَّانِي الْوُجُودِ طُرًّا , هَذَا مَعْنَى (وَ ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ) حِينَئِذٍ تُخَاطَبُ الْأَئِمَّةَ فِي زِيَارَتِهِمْ فَنَقُولُ (وَ ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ) كُلُّ هُنَا تُشِيرُ إِلَى تَمَامِ الْمَوْجُودَاتِ , إِلَى تَمَامِ الْأَشْيَاءِ وَ هِيَ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي عَالَمِ الْخَلْقِ الثَّانِي , اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ يَدُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ , فَوْقَ أَيْدِي أَهْلِ الْبَيْتِ بَلْ هُمْ يَدُ اللَّهِ كَمَا عُبِّرَ عَنْ ذَلِكَ فِي الزِّيَارَاتِ وَ فِي الرَّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ , وَ هُمْ الْقُدْرَةُ الْمَبْسُوطَةُ عَلَى كُلِّ الْكَائِنَاتِ (وَ ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ) إِنَّمَا اشْرَتْ إِلَى هَذَا التَّوْضِيحِ كَمَا قُلْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ , رَبَّمَا بَعْضُ الْإِخْوَانِ لَمْ يَكُونُوا قَدْ حَضَرُوا فِي الدَّرْسِ الْمَاضِي فَقَدْ يَلْتَبَسُ عَلَيْهِمْ الْأَمْرُ فِي مَقْصُودِي مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَ مِنَ الْخَلْقِ الثَّانِي لِذَلِكَ اشْرَتْ هَذِهِ الْإِشَارَةُ الْمَوْجِزَةُ لِبَيَانِ مَعْنَى هَذَيْنِ الْعِنَوَانَيْنِ وَ لَا زَالَ كَلَامُنَا فِي هَذِهِ الدَّائِرَةِ , فِي دَائِرَةِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَ فِي دَائِرَةِ الْخَلْقِ الثَّانِي وَ أَنَّ الْخَلْقَ الثَّانِي يَخْتَلِفُ فِي سِنَخِيَّتِهِ عَنِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

لأن الخلق الاول اشبه ما يكون بالباري سبحانه و تعالى و لذلك هذه الآية الشريفة و هذه التفاسير موجودة في كتب التفسير (ليس كَمِثْلِهِ شيء) هذه الآية فُسِّرَتْ بِوَجْهَيْنِ , الوجه الاول فَسِّرَتْ (ليس كَمِثْلِهِ شيء) انه لا يوجد مَثيل لله سبحانه و تعالى , هذا التفسير مذكور في كتب التفسير (ليس كَمِثْلِهِ شيء) انه لا يوجد مَثيل لله سبحانه و تعالى , واضح المقصود من المَثيل يعني المِشَابِه و إلا ذات هذا المَثيل تختلف عن ذات الاصيل لكن توجد مُشَابَهة , حينما نقول هذا الشيء , لِنَفْرَضِ نَسَخَتَانِ مِنْ كِتَابٍ وَاحِدٍ , نقول هذا مثل هذا , في جهة المِشَابَهة الظاهرية و إلا ذات هذا الكتاب غير ذات هذا الكتاب و حتماً إذا كان هذا الكتاب نُقِلَ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ فَهَذَا هُوَ الْاَصْلُ وَ هَذَا هُوَ الْفَرْعُ وَ يَكُونُ هَذَا هُوَ الْاَصْلُ وَ هَذَا الَّذِي لَهُ الشَّرْفُ .

(ليس كَمِثْلِهِ شيء) في بعض التفاسير يعني لا يوجد شيء يُمَاتِلُ الْبَارِي , و في بعض التفاسير (ليس كَمِثْلِهِ شيء) هكذا , انه يوجد شيء يُمَاتِلُ الْبَارِي وَ هُمْ اهل البيت لكن لا يوجد شيء يُمَاتِلُ مَثِيلُ الْبَارِي سبحانه و تعالى و انتبهوا للآية , قالت (ليس كَمِثْلِهِ) ما قالت (ليس مثله شيء) يعني التفسير الثاني يكون مقبولاً بِقَرِينَةِ حَرْفِ التَّشْبِيهِ , حرف الجر (ليس كَمِثْلِهِ) و الذي يُدَقِّقُ فِي الْآيَةِ يَتَنَبَّهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى , لو كانت الآية قالت (ليس مثله شيء) يعني لا يوجد هناك مُمَاتِلٌ لَهُ , الآية قالت (ليس كَمِثْلِهِ) يعني الآية تُبَيِّنُ لَهُ مِثْلًا مَعَ وُجُودِ حَرْفِ الْكَافِ وَ اِنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ يَوْجَدُ , يعني هناك مثل (و له المثلُ الاعلى) و راجع الروايات الشريفة , المثل الاعلى في الروايات اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم , ليس الكتاب الكريم هو الذي يُحَدِّثُنَا عَنْ الْبَارِي (و له المثلُ الاعلى) المثلُ الاعلى في الروايات الشريفة مَنْ هُمْ ؟ اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , في الدعاء الذي نقرأه في هذه الايام الذي يُسْتَحَبُّ قِرَاءَتُهُ فِي ايام شهر رجب يومياً , الذي اوله (اللهم اني اسألك بِجَمِيعِ معاني ما يدعوكَ به ولاةُ امرِكَ) إلى ان يقول الدعاء (لا فرقَ بينكَ و بينها إلا اَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَ خَلْقُكَ) وجه المِثَابَهة هنا (لا فرقَ بينكَ و بينها إلا اَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَ خَلْقُكَ) ليس كَمِثْلِهِ شيء و لذلك إمام الأُمَّة إلى هذا المعنى اشارَ في الصفحة الحادية و الخمسين بعد المائتين , اوردَ هذه الرواية الشريفة التي ذكرها شيخنا الصدوق في (علل الشرائع) ذكرَ هذا المقطع منها عن إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه , ذكرَ مقطعاً و إلا الرواية مُفَصَّلَةٌ , الآن آتِي إِلَى بيان هذه الرواية بِحَسَبِ ما يَسْنَحُ بِهِ الْوَقْتُ , ماذا ذكرَ إمام الأُمَّة من مقطعٍ من هذه الرواية (انزَلَ اللهُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ عَلَيْهِ) يعني على النبي , الرواية تُحَدِّثُنَا عَنْ معراج النبي (انزَلَ اللهُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ عَلَيْهِ) يعني على النبي (مَحْمَلًا مِنْ نُورٍ فِيهِ اَرْبَعُونَ نَوْعًا مِنْ اَنْوَاعِ النُّورِ كَانَتْ مُحَدِّقَةً حَوْلَ الْعَرْشِ) عرشه تبارك و

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

ذكرها شيخنا الصدوق رحمة الله عليه في كتابه (الحِصَال) لقد عُرِّجَ بِنَبِيِّنا صلى الله عليه و آله مائة و عشرين مرّة و في كل مرّة كان يُؤمَرُ بِحُبِّ عليّ صلوات الله و سلامه عليه , و نحن نعتقد كما بيّنتُ لكم في الروايات الشريفة أنّ الإمام المعصوم يُعَرِّجُ به كل ليلة جُمعة و هناك احاديث مُفصّلة عن الأئمّة إذا اردت ان تُراجِعَ على سبيل المثال كتاب (بصائر الدرّجات) لِشَيْخنا ابي جعفر الصّفّار رحمة الله عليه من اصحاب الإمام العسكري يَجِدُ روايات مُفصّلة في هذا الخصوص , في أنّ الإمام المعصوم يُعَرِّجُ به إلى السماء , إلى العرش الإلهي في كل ليلة جُمعة و مع ذلك هذه المعاني دون منزلة اهل البيت , كل هذه المعاني , انا اشترتُ إلى هذه الحقيقة كما بيّنتُ إمام الأئمّة في اكثر من مطلب و اشارَ إلى هذه الرواية التي تتحدّثُ عن منزلة اهل البيت (إنّ لنا مع الله حالات نكون فيها نحن هو و هو نحن إلا أنّنا نحن نحن و هو هو) هذا المعنى يأتينا إن شاء الله في الدروس الآتية , حينما يذكر إمام الأئمّة هذه الرواية اتناولُ هذا المطلب بالشرح و البيان في حينها إن شاء الله تعالى .

فالرواية هنا تُحدّثنا عن معراج من معارج النبي و إلا معارج النبي كثيرة (انزلَ الله العزيزُ الجبارُ عليه محمّلاً من نور فيه اربعون نوعاً) و الاربعون . كما هو في علم الارقام . اكمل الاعداد , انا لا اريد الحديث في مثل هذه المسائل لكن الحديث فيه إشارات ربّما تكون غير واضحة , بِشكّل موجز أُشير إليها و إلاّ هذه المطالب بِمُحاجة إلى تفصيل طويل , الاربعون في علم الارقام هو من اكمل الارقام و له الإحاطة التامة على سائر الارقام الاخرى و لذلك ما يوافقُه من الحروف (الميم) و الميم قلبُ العالم و لذلك الميم قلبُ الإسم الشريف (مُحمّد) الميم اين موجودة ؟ موجودة في قلب هذا الإسم الشريف و هي المشيرة بِحسب علوم الاوافق , بِحسب العلوم الباطنية إلى قلب هذا العالم , إلى قلب هذا الوجود و في الروايات الشريفة (المعصوم قلبُ الله) في توحيد الشيخ الصدوق و في غير توحيد الشيخ الصدوق روايات عن المعصومين صلوات الله و سلامه عليهم تُعبّر عن المعصوم أنّه قلبُ الله , و الميم قلبُ هذا الوجود , و الميم قلبُ هذا العالم و لذلك هي قلبُ الإسم الشريف لِنبينا صلى الله عليه و آله و سلم و هي الواسطة بين الخالق و بين المخلوقات و هذا المعنى يمكن ان نتحسّسه في الادعية الشريفة (اللهم) الإسم الوحيد الذي يُنادى بِحرف الميم (الله) الآن إذا اردنا ان نُعربَ هذا الإسم (اللهم) هذه الميم ماذا يُقال عنها ؟ يُقال عنها حرف نداء مُختصّ بلفظ الجلالة و إلاّ لا يوجد عندنا اسم من اسماء البشر تُناديه و تُخاطبه بإضافة الميم إلى اسمه , و هذه الميم المشدّدة هي الميم الموجودة في وسط الإسم الشريف لِنبينا صلى الله عليه و آله و سلم , فقلبُ المعصوم واسطة هذا الوجود و قلبُ المعصوم رابطة هذا الوجود , و حتى في هذه الكتابة المعروفة بيننا , على

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

سبيل المثال , هذه من الموافقات , حتى هذه الكتابة الموجودة لرقم الاربعين فرقم الاربعين إنما هو عبارة عن نقطة و عن خط مُتَكَسِّر , و هذا الخط المتكسر اهل المعرفة ينظرون إلى هذا الرقم بهذا النحو يُمثّل الدائرة الاكمل , أمير المؤمنين هو الذي يقول (انا النُقْطَةُ انا الحَطُّ , انا الحَطُّ انا النُقْطَةُ) و الحقيقة العلوية

و هو الآية المُحِيطَةُ في الكَوْنِ فَي عَيْنِ كُلِّ شَيْءٍ تَرَاهَا

و هو الذي يُعبّر عنه بالنقطة السارية في كل الموجودات .. (إلى هنا ينتهي الوجه الاول من الكاسيت) .. تُشير إلى ظهور نورية اهل البيت في هذه الموجودات و في هذه الخَلَقِيَّات , كما أنّ هذه الكلمات تتألف من حروف و كل حرف يتألف من مجموعة نقاط , حرف الالف يتألف من نقاط مُتَحَرِّكة سَيَّالَة , و حرف الباء ايضا إلا أنّ شكل حركة هذه النقطة يتغيّر من حرف إلى حرف , كما أنّ هذه الكلمات تتغيّر في تركيبها لكن الاصل النقطة تُكوّنُها و إلاّ حتى في الإصطلاح الهندسي الخط ما تعريفه ؟ أليس هو مجموعة نقاط ؟ في التعريف الهندسي للخط , الخط ما هو ؟ الخط مجموعة من النقاط المُتَّصِلَة و حينما تتصل النقاط بعضها ببعض يُقال لها خط في علم الهندسة و علم الهندسة علم ظاهري , أمّا في العلوم الناظرة إلى البعد المعنوي , البعد الواقعي فالنقطة السَيَّالَة هي التي بحركتها تتكوّن الحروف و نورية اهل البيت هي التي بإشراقها اشرفت هذه الموجودات و كلّما اشرق نور اهل البيت بمرتبة اعظم في مخلوق و في موجود كان ذلك المخلوق و كان ذلك الموجود اشرف و ارقى مرتبة و هكذا , و هذا التَكْسُرُ في رقم الاربعين يُشير إلى مسألة المراتب الصعودية و المراتب النزولية , مرّتين اشارة إلى العوالم العلوية و السفلية , أليس هناك في العوالم السفلية و في العوالم العلوية ما يُعبّر عنه بالقوس الصعودي و بالقوس النزولي و ربّما بعض هذه الإصطلاحات غير واضحة لديكم , في الدروس الآتية حينما يصل الكلام في بيان معناها أُشير إلى حقيقتها , انا قلتُ لستُ في مقام الإطناب في كل المطالب و إنّنا بنحو موجز أُشير إلى هذه المعاني و هناك مطالب اخرى تتعلق برقم الاربعين تُذكر في مَظَاهِرُهَا , نحن لَسْنَا بِصَدَدِ الحَدِيثِ عن الارقام و اسرارها (انزل الله العزيز الجبار عليه حملا من نور فيه اربعون نوعا من انواع النور كانت مُحَدِّقَة حول العرش) و الانوار التي احدثت حول العرش واضحة في الروايات , في الزيارات (أمّا واحد منها فأصفر فَمِنْ اجل ذلك اصفرتُ الصُّفْرَة , و واحد منها احمر فَمِنْ اجل ذلك احمرتُ الحُمْرَة) النور الاصفر و النور الاحمر , هناك انوار شَعَّتْ في العالم العرشي و هذه الانوار بيانُ معناها ربّما يحتاج إلى مقدمات لكن انا بِشَكْلِ سريع أُشير إلى رموز هذه الانوار كما هو المعروف بين اهل المعرفة ' النور الاصفر معروف بين اهل المعرفة هو نور الروح , و النور الاحمر معروف بين اهل المعرفة هو نور الطبيعة , و المقصود من الطبيعة المتكاملة الناتجة

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

من مُمَارِجَةِ العَقل مع الرُوح و لذلك النور الابيض يقولون عنه نور العقل و النور الاخضر يقولون عنه نور النفس و هكذا التفصيلات المذكورة في مَظَاهِمَا , انا لَسْتُ بِصَدَدٍ بِشرح هذا الحديث , كما قال إمام الأُمَّة شَرَحَ هذا الحديث رَيمًا يُجْرِجُنَا عن المقاصد الاصلية للبحث لكن هذه اشارات سريعة , إذا ما سنَحَ لنا الوقت في مقام آخر أُشير إلى بيان معاني اسرار هذه الانوار , فالنور الاصفر هو نور الروح و هناك مقدمات تَوْضِحُ هذا المعنى رَيمًا ترتبط حتى بِبعض القوانين الطبيعية و المسائل الطبيعية في الحياة الدنيوية للإنسان و لذلك الروح البشرية و حواس الإنسان تتأثر كَثيرًا بالالوان و للألوان انعكاسات واضحة على النفس الإنسانية , على أي حال هذا الكلام خارج عن مقصدنا لكن الحديث الشريف اشارَ أَنَّهُ اضفَرَّتِ الصُّفْرَةَ , و واحد منها اَحمَرُ فَمِنَ اجل ذلك اَحمَرَّتِ الحُمْرَةَ , مقصود اَحمَرَّتِ الحُمْرَةَ يعني بَجلَّتِ الطبيعة الكاملة في الإنسان , و اصفَرَّتِ الصُّفْرَةَ يعني ظهَرَتِ الروح في الإنسان , إلى ان يستمر الحديث الشريف و مورد الشاهد هنا , نَحْنُ كُنَّا بِصَدَدٍ الحديث عن الخلق الاول و عن الخلق الثاني و انّ الخلق الاول يَخْتَلِفُ عن الخلق الثاني و هو اشبهُ ما يكون بالله و سبحانه و تعالى لذلك الملائكة لَمَّا رَأَتْ نور نَبِيِّنَا قالت (سُبُوْحُ قُدُّوسُ , رَبُّنَا و رَبُّ الملائكة و الروح) و الملائكة , شفافية الملائكة و انكشاف الحُجُبِ عن الملائكة و نورانية الملائكة اكثر بِكثيرٍ مِمَّا يظهر عن بَنِي البشر و عند قُطَّان هذا العالم الدنيوي الذي حُجِبْنَا فيه بأغلالنا و بذنوبنا و بالحواسب المختلفة التي تُحِيْطُ بنا , فَحِينَمَا اشْرَقَ النور النبوي قالوا (سُبُوْحُ قُدُّوسُ) سَبَّحُوا و قَدَّسُوا ثم قالوا (ما اشبهُ هذا النور بنور ربِّنا) إلى ان كَبَّرَ جبرائيل عليه السلام و بعد ذلك النبي هَلَّلَ و كَبَّرَ صلى الله عليه و آله و سلم , حينئذ الملائكة عَرَفَتْ أَنَّمَا هذا مخلوق لكن هو هذا المخلوق الذي في المرتبة الاولى , في مرتبة الخلق الاول , الإمام هنا اقتضَبَ الرواية و إلاَّ لَنَحْنُ إذا اَرَدْنَا ان نرجع إلى الرواية في مصدرها , في (عِلَلُ الشرائع) لِشَيْخِنَا الصَّدوق , الرواية ذَكَرَهَا الشيخ الصدوق في الجزء الثاني , الرواية مُفَصَّلَةٌ يَمَكِّنُكَ ان تُراجِعَهَا , الإمام رضوان الله تعالى عليه اقتضَبَهَا اقتضابًا لأنَّ الكتاب لَمْ يَكُنْ على نَحْوِ التفصيل , يَمَكِّنُكَ ان تُراجِعَ الرواية لِتَجِدَ تفصيلاً واضحاً فيها انّ الملائكة كانت مُلْتَفِتَةً إلى نورِةِ النبي , و في كل مقام التَفَتَّتْ فيه إلى نورِةِ النبي كانت مُلْتَفِتَةً إلى نورِةِ أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه و الحديث مُفَصَّلٌ اَقْرَأْ لَكُمْ مقطعا منه , في عدَّة صفحات , الحديث طويل لكن اَقْرَأْ لَكُمْ مقاطع منه (إِنَّ الله العزيزَ الجَبَّارَ عَرَجَ بِنَبِيِّهِ صلى الله عليه و آله إلى سَمَائِهِ سَبْعًا) هذه الرواية . تُلَاحِظُونَ . تُشِيرُ إلى انّ النبي قد عَرَجَ به إلى السماء سَبْعَ مَرَّاتٍ لكن لا يعني انّ العدد وَقَفَ عند هذا الحد , قبل قليل ذَكَرْتُ لَكُمْ رواية (مائة و عشرين مرَّةً) و لا يعني انّ العدد قد وَقَفَ عند هذا الحد و إِنَّمَا الرواية هنا تَذَكَّرُ بعضاً من المعارج

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

التي لها مرتبة واحدة لأنّ المعارج لها مراتب فحينما تأتي هذه الرواية فتقول أنّ المعارج مائة و عشرون , و هذه الرواية تقول أنّ المعارج سبعة تُشير إلى معارج تحمل نفس الخصائص , نفس المرتبة , أمّا بقيّة المعارج فَمَسْكُوتٌ عنها , لا يعني أنّ هذه الروايات قد حَدَّدَتْ و إنّما بقيّة المعارج تدخل في القضية المَسْكُوت عنها , أليس عندنا قضايا مَسْكُوت عنها ؟ بقيّة المعارج و التي نفهمها من روايات اخرى كثيرة , تلکم مَسْكُوت عنها , على أي حال تستمر الرواية الشريفة (فأَنْزَلَ اللهُ العزیز الجبار عليه حَمَلًا من نور فيه اربعون نوعا من انواع النور كانت مُحَدِّقَةً حول العرش) نفس النص الذي قرأته قبل قليل , بيّنتُ بعضا من معانيه (أمّا واحدٌ منها فأَصْفَرُ) و قلتُ النور الاصفر هو نور الروح (فَمِنْ اجل ذلك اصْفَرَّتِ الصُّفْرَةُ , و واحد منها أَحْمَرُ) و قلتُ اللون الاحمر لون الطبيعة التي تأتي ممزوجة من نور العقل و من نور الروح (فَمِنْ اجل ذلك أَحْمَرَّتِ الحُمْرَةُ , و واحد منها ابيض) و هو نور العقل كما بيّنتُ (فَمِنْ اجل ذلك ابيضُ البياض) و الباقي على عدد سائر ما خلَقَ من الانوار و الالوان , و تستمر الرواية الشريفة , يمكنك ان تراجعها , ليس عندنا وقت لقراءة تفاصيل الرواية بتمامها لكن لَمَّا رَأَتْ الملائكة نور نبيّنا فسَبَّحَتْ (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ , رَبُّنَا و رَبُّ الملائكة و الروح , ما اشبهَ هذا النور بنور ربِّنا , فقال جبرائيل , الله اكبر , الله اكبر , فسكنت الملائكة و فُتِحَتْ ابواب السماء و اجتمعت الملائكة ثم جاءت فسَلَّمَتْ على النبي صلى الله عليه و آله افواجاً ثم قالت , يا مُحَمَّدُ كيف اخوك ؟ قال بخير , قالت فإن ادركته فاقربه منا السلام , فقال النبي صلى الله عليه و آله , اتعرفونه ؟ فقالوا كيف لم نعرفه و قد اخذ الله عزو و جل ميثاقك و ميثاقه منا و اِنَّا لَنُصَلِّي عليك و عليه , ثم زاده اربعين نوعا من انواع النور) و الروايت تستمر إلى موقف آخر , إلى موطن آخر ايضا الملائكة لَمَّا يُصيبيها الإنبهار بنور نبيّنا صلى الله عليه و آله و سلم (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ) هذه طائفة ثانية من الملائكة (رَبُّ الملائكة و الروح) ايضا يقولون (ما اشبهَ هذا النور بنور ربِّنا , فقال جبرائيل عليه السلام , اشهد ان لا إله إلا الله , اشهد ان لا إله إلا الله) بعد ذلك الرواية تقول أنّ الملائكة يأتون فيُسَلِّمون على النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قالوا (أقريء اخاك السلام فقلتُ هل تعرفونه ؟ قالوا نعم , و كيف لا نعرفه و قد اخذ الله ميثاقك و ميثاقه و ميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا , و اِنَّا لَنَتَصَفَّحُ وجوه شيعته في كل يوم خمسا) يعني اوقات الصلاة , إلى آخر الرواية الشريفة , و هكذا النبي صلى الله عليه و آله و سلم في كل سماء حينما يُشْرِقُ نوره للأنبياء و الملائكة , الملائكة تُسَبِّحُ و تُقَدِّسُ الباري سبحانه و تعالى و تقول (ما اشبهَ هذا النور بنور ربِّنا) و هذه الرواية و غيرها من الروايات تُشير إلى المضمون الذي بيّنته قبل قليل من أنّ نور اهل

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين في مرتبة الخلق الاول , و ما كان في مرتبة الخلق الاول فهو اقرب ما يكون إلى النور الإلهي و أنّ سِنخِيَّةَ الاول تُختلف في كل ابعادها عن سِنخِيَّةَ الخلق الثاني الذي نحن نعيش فيه و من هنا كانت الفاصلة كبيرة بين هذا الخلق و بين الخلق الاول .

و إلى هذا المعنى ايضا شارَ إمام الأُمَّة رضوان الله تعالى عليه في الصفحة السابعة و الخمسين بعد المائتين , ذَكَرَ رواية عن مُحَمَّد بن مسعود العِيَّاشي في تفسيره , تفسير الشيخ العِيَّاشي المعروف , عن عبد الصمد بن بشير قال , ذُكِرَ عند ابي عبد الله بدءُ الاذان , إلى ان قال (إنَّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان نائماً في ظلِّ الكعبة فاتاهُ جبرائيل و معه طاس فيه ماء من الجنة فايقظهُ و امرهُ ان يغتسل به , ثم وُضِعَ في مَحْمَلٍ له الف الف لون من النور) تُلاحظون هذا معراج آخر , المعراج الاول المحمَل كان فيه اربعون نوراً , هذا معراج آخر و المعراج . كما بيَّنتُ . تُختلف في شؤوناتها من رواية إلى رواية اخرى (ثم وُضِعَ في مَحْمَلٍ له الف الف لون من نور , ثم صعدَ به حتى انتهى إلى ابواب السماء فلَمَّا رأتُهُ الملائكة نفرَّتْ عن ابواب السماء و قالت , إلهين , إله في الارض و إله في السماء) التجلِّي هنا في هذه الحالة , في هذا المعراج كان في نشأةٍ اكمل من التجلِّي الاول , الرواية الاولى الملائكة ماذا قالوا ؟ قالوا (ما اشبهَ هذا النور بنور ربنا) لأنَّ التجلِّي الذي ظهرَ لهم من نورية النبي صلى الله عليه و آله و سلم جعلهم يكتشفون هذه الحقيقة , أمَّا التجلِّي هنا اعمق , التجلِّي هنا ادق , التجلِّي هنا اوضح , النورية اشرفتْ بِشكْلِ اوضح هنا لنورية نبينا صلى الله عليه و آله و سلم و لذلك الملائكة ماذا قالت ؟ قالت (إلهين , إله في الارض و إله في السماء , فأمرَ الله جبرائيل فقال , الله اكبر , الله اكبر , فتراجعتْ الملائكة نحو ابواب السماء , ففتحتْ الباب فدخلَ حتى انتهى إلى السماء الثانية فنفرَّتْ الملائكة عن ابواب السماء) و هكذا إلى سائر التفصيل الذي جاء في الرواية التي ذكرها شيخنا العِيَّاشي رحمة الله عليه , و هذه الرواية واضحة انَّ الملائكة ماذا قالت ؟ قالت (إلهين , إله في الارض و إله في السماء) و هذه الروايات و غيرها من الروايات الاخرى كلها تُشير إلى هذه الحقيقة , إلى حقيقة الخلق الاول الذي يُختلف في سِنخِيَّتِهِ عن الخلق الثاني حتى انَّ اشرف مراتب الخلق الثاني و هم الملائكة المقربون , الانبياء المرسلون , الملائكة الذين أُزِيحَتْ عنهم الحواجب و أُزِيحَتْ عنهم الغياهب و الغواسق النفسانية و الخلقية , كثير من الغواسق و كثير من الحواجب التي حالتْ فيما بيننا و بين ادراك الحقائق , هذه الحواجب و الغواسق مرفوعة عن الملائكة المقربين لكنهم لا يُدركون الحقائق في كل مراتب هذا الوجود , يُدركون الحقائق ربّما في عالم الخلق الثاني , أمَّا حينما شَعَّتْ عليهم انوار الخلق الاول , انوار نبينا صلى الله عليه و آله و سلم فترى

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

الملائكة في مرتبة من المراتب قالوا (ما اشبه هذا النور بنور ربنا) و في مرتبة اخرى قالوا (إلهين , إله في الارض و إله في السماء) و هذه المعاني نجدها واضحة في روايات كثيرة مروية عن ائمتنا المعصومين صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين كلها تُشير إلى هذه الحقيقة , إلى حقيقة المائز و الفارق الكبير بين الخلق الاول و بين الخلق الثاني و من هنا كان الخطاب لِنبي الله موسى ان اخلع نعليك و فسرها إمام زماننا بِحُبِّ الاهل كما بيّنتُ ذلك في الروايات المتقدمة في الدروس الماضية , إمام زماننا قال إنّ المراد من (اخلع نعليك) ان اخلع حُبَّ اهلك من قلبك لأنّ موسى في مُناجاته ناجى الله هكذا , قال يا إلهي لقد اصفيت لك المؤدّة و اخلصتُ لك قلبي و انقطعتُ إليك فكان النداء من الباري سبحانه و تعالى , إذا كُنْتَ قد اصفيت لي المؤدّة و انقطعت إليّ و خلّيت قلبك لي (فاخلع نعليك) يعني فأزل حُبَّ العترة من قلبك , حُبَّ عترتك , أمّا نبينا فقد أمر بِحُبِّ العترة , تُلاحظون الفارق الكبير , نبيا في معراجهِ أمر بِحُبِّ العترة , و موسى في معراجهِ و اين كان معراجهُ ؟ كان في الارض , في وادي طوى , و وادي طوى بِحُفنا الشريف , معراجهُ في ارض ستشرفُ بعد قرون بنعل عليّ صلوات الله و سلامه عليه , كان معراجهُ في هذا الوادي , كان معراجهُ في هذه التربة , يعني قَمّة ما وبلع إليه موسى ان كان معراج هذا النبي العظيم في ثربة تتشرفُ بنعل عليّ صلوات الله و سلامه عليه و كان الامر ان اخلع نعليك , ان أزل هذه الروابط فإنك لا تتمكّن من الوصول إلى دائرة شعاع الخلق الاول و إلاّ لا يتحوّل المخلوق الثاني إلى المخلوق الاول , لا يمكن هذا لأنّ المخلوق الثاني قابليتهُ و استعدادهُ لقبول الفيض يختلف بالمرّة عن قابلية و عن استعداد المخلوق الاول لقبول الفيض , المخلوق الاول كان قابلا لِتمام الفيض , أمّا المخلوق لم يكن قابلا لِتمام الفيض و إمّا ظهر فيه شيء من الفيض و هذه الروايات التي تقول انّ الانبياء كان عندهم من الإسم الاعظم , النبي ابراهيم كان عنده اربعة حروف من الإسم الاعظم و عيسى عليه السلام كان يملك حرفين و هكذا هذا التقسيم الذي اشارتُ إليه الروايات الشريفة , تُشير إلى قابلية المخلوق الثاني على قبول الفيض بِحدوده أمّا حروف الإسم الاعظم بَجَلَّتْ في ذوات اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين و في ذلك اشارة واضحة إلى قبول تمام الفيض و هذه المسألة راجعة إلى قدرة الباري سبحانه و تعالى , ربّما البعض يستغرب من مثل هذه المعاني و إلاّ عندنا رواية و إنّ كانت خارجة عن المقصود لكن هذه الرواية أُشير إليها لأنّ فيها دلالة في غاية الروعة و الجمال , عن إمامنا الجواد صلوات الله و سلامه عليه , خطرتُ الآن في بالي الرواية , الإمام صلوات الله و سلامه عليه كان جالسا على نحر و يجنبه لحدّ شيعته , قال يابن رسول الله صحيح ائكم تعلمون الغيب ؟ صحيح تعلمون العلوم الإلهية الغيبية ؟ الإمام الجواد ماذا قال له صلوات الله و سلامه عليه ؟ قال له يا

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

فلان أتُنظرُ إلى هذه السمكة ؟ سَمكة صغيرة كانت في النهر , قال نعم يابن رسول الله , قال هل يقدر الله سبحانه و تعالى ان يَهَبَ هذه السمكة كل علوم العَيب او لا يقدر ؟ قال كيف لا يقدر ؟ قال أفجَعَلتَ هذه السمكة اعزَّ عند الله منّا ؟ يعني إذا كان هذه السمكة الله قادر على ان يَهَبَها , لأنَّه إذا قلنا انه غير قادر هذا نَقص في قُدْرته و النقص في القدرة نَقص في التوحيد , قل جعلتَ هذه السمكة افضل عند الله منّا , إذا كان هو قادر على ان يَهَبَ هذه السمكة كلَّ العلم قادر على يَهَبنا كل العلم و لذلك في هذه اشارة واضحة و الروايات تُشير إلى هذه الحقيقة , إلى قبول اهل البيت و إلى استعداد ذوات اهل البيت لِتَقْبُلَ تمام الفَيْض و من هنا كانت ذواتهم ذواتاً إلهية , من هنا كانت حقائقهم حقائق ربّانية و لذلك كل شيء فيهم نُسب إلى الله , هُم آل الله , هكذا نُخاطِبُهم في الزيارات الشريفة , هُم آل الله , هُم وَجِه الله , هُم عَيْنُ الله , هُم نَفْسُ الله , هُم يَدُ الله , هُم نعمة الله , هُم نعمة الله , هُم اولياء الله , هُم حُجَّة الله , هُم دين الله , هُم صراط الله , هُم كتاب الله , هُم ثار الله و في كل شيء من جهاتهم بَجْد ان النسبة في الروايات الشريفة عائدة إلى الله سبحانه و تعالى فكل ما فيهم يعود إلى الله و انا قلتُ في الدروس الماضية , الآية الشريفة (إِنَّا لله و إِنَّا إليه راجعون) في حقيقتها لا تنطبق إلا على اهل البيت فقط لأنّها تنطبق علينا بالواسطة , الإنطباع الحقيقي لِمَعْنَى هذه الآية على اهل البيت (إِنَّا لله) هُم في ظواهرهم و في بواطنهم لله , هُم في وجودهم و في كل حقائقهم و في كل شؤوناتهم لله أما نحن مُلك لله في حقيقة وجودنا أمّا في الحقائق الظاهرية نحن لا نتعامل مع الله على اساس إِنَّا لله , و حياتنا فيها الشواهد الكثيرة الكثيرة الكثيرة التي تشهد بأننا في ظاهرها و في احساساتنا و في شعورنا و في تعاملنا النظري و العملي لا نتعامل على اساس إِننا لله , أمّا اهل البيت في ظواهرهم , في بواطنهم , في وجودهم , في حقائقهم , في شؤوناتهم و في كل شيء يتعلّق بهم هُم لله و لذلك (إِنَّا لله و إِنَّا إليه راجعون) هي لهم و هُم إليه راجعون أمّا نحن راجعون إلى اهل البيت , أليس نحن نُخاطِبُهم في الزيارة الجامعة الكبيرة (و إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُمْ , و حِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ) الإياب الرجوع (و إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُمْ , و حِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ) و هذا النص واضح في الزيارة الجامعة الكبيرة التي تسالم عليها اصحابنا و ذُكِرَتْ في اوثق مصادر الطائفة , الزيارة الجامعة الكبيرة اين مذكورة ؟ مذكورة في (مَنْ لا يَحْضِرُهُ الفقيه) لِشَيْخنا الصّدوق , احد الاصول الاربعة من اصول الطائفة , مذكورة في (تَهذيب الاحكام) للشيخ الطوسي , الاصل الثاني من اصول الطائفة , مذكورة في (عيون اخبار الرضا) لِشَيْخنا الصّدوق و هو من اوثق الكُتُب الحديثية التي تأتي في المرتبة الثانية بعد مرتبة الكُتُب الاربعة , الزيارة الجامعة الكبيرة التي تسالم عليها اصحابنا الماضون , المتأخرون , المعاصرون

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

و هي افضل و افضل النصوص التي يُزار بها الائمة , هكذا تُخاطب الائمة (و إياب الخلق إليكم , و حسابهم عليكم) الإياب الرجوع , و المقصود من الرجوع هنا ليس فقط الرجوع بهذا المعنى الساذج , ان نتصور انه في يوم القيامة و كأن يوم القيامة كساحة المحكمة و انه نحن نُراجع الائمة على اساس المحاكمة , لا , الرجوع بكل معناه , الزيارة هنا قالت (إياب الخلق إليكم) الإياب الرجوع بكل معناه و الرجوع بكل معناه الرجوع على نحو الملكية , الرجوع على نحو التبعية , الرجوع على نحو التعلق , بكل معاني الرجوع , يعني ان هذه الكائنات راجعة إليكم , هذه الكائنات عائدة إليكم (و إياب الخلق إليكم) الخلق , و ليس بني الإنسان , تنتهون للزيارة الشريفة , الخلق لا تُطلق على بني البشر (و إياب الخلق) الخلق الثاني يعني , هناك خلق اول و الخلق الثاني يعود إلى الخلق الاول (و إياب الخلق إليكم , و حسابهم عليكم) و هذا ليس فقط في يوم القيامة , الإياب و الحساب يظهر حتى في العالم الدنيوي (ان الله سريع الحساب) سرعة الحساب في العالم الدنيوي و في العالم الآخروي لكن سرعة الحساب الدنيوي تترتب على اساس التوفيق و الخذلان و إلا المقصود من (ان الله سريع الحساب) ما هو ؟ ان الإنسان ما ان يأتي بعمل بيته إلا و يترتب عليها شيء , هناك حساب تكويني جار في هذا الخلق , إياهم إليكم , حسابهم عليكم , هذا الإياب ليس فقط في يوم القيامة و الزيارة هنا لم تكن تتحدث عن يوم القيامة فقط و الحساب هنا ليس فقط في يوم القيامة , الإياب و الحساب يُصاحب الإنسان في هذا العالم و في القبر و في العالم الآخروي , و حتى في الجنان هناك ترقى في المراتب و هذا الترقى في المراتب يكشف عن الرجوع و يكشف عن الحساب لكن بمعنى الحساب الذي يُخاف منه لأن الحساب له مراتب , هناك حساب لا يستشعره الإنسان ظاهرا و إلا لو دقق النظر ايضا الإنسان يستشعر معنى الحساب لأن الإنسان إذا جاء بالعمل الصالح سيحاسب بالتوفيق و توفيقه يكون في مرتبتين , إما بسبب هذا العمل الصالح ان الإنسان يُحجب عن عمل سيء و إما بسبب هذا العمل الصالح ان الإنسان يوفق لعمل صالح , و إذا جاء بالعمل السيء الإنسان يُخذل و الخذلان يأتي بصورتين , إما انه بسبب هذا العمل السيء سيقوده إلى عمل سيء و إما بسبب هذا العمل السيء سيمنع عن عمل صالح و هذا هو الخذلان , و حتى هذا التقسيم في ان الإنسان يُدفع إلى عمل صالح , يوفق إلى عمل صالح او يُحجب عن عمل سيء او بالعكس , هذا التوفيق و الخذلان على مراتب لأن التوفيق إلى العمل الصالح بسبب العمل الصالح ارقى مرتبة من منع الإنسان عن العمل السيء بسبب العمل الصالح و هكذا بالنسبة للعمل السيء فإن الإنسان حينما يقع في العمل السيء بسبب العمل السيء فهو ادون رتبة من هذا الذي يُمنع عن العمل الحسن بسبب العمل السيء و

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

هذه المراتب ايضا راجعة خلفية الإنسان و إلى ذنوب الإنسان و إلى طاعات الإنسان و هذا كله يدخل في دائرة الحساب السريع (إن الله سريع الحساب) سرعة الحساب بهذا المعنى و إلا هذا فهم ساذج أن يتصور أن سرعة الحساب هو فقط في العالم الآخرى , لماذا تأتي الروايات تقول (إذا مات المرء قامت قيامته) لأن هنا نوع من الحساب و لذلك في اصطلاح العرفاء يقولون بأن الإنسان في العوالم الدنيوية يمكن ان تقوم قيامته الصغرى و يمكن ان تقوم قيامته الكبرى , من جملة مراتب اهل المعرفة مرتبة من قامت قيامته الصغرى , و مرتبة من قامت قيامته الكبرى و هذا البحث موكل إلى محله , لسننا بصدد الحديث عن مثل هذه الموضوعات لكن هذه الإصطلاحات واضحة في كتب العرفاء , واضحة عند اهل السلوك , ان هناك من مراتب السالكين إلى الله من تقوم قيامته الصغرى في الحياة الدنيوية , و هناك من تقوم قيامته الكبرى و لكل مرتبة خصائصها و حدودها و ابعادها و هذا المعنى ايضا يمكن ان نجد في الروايات الشريفة و من هنا عبّر عن ظهور الإمام الحجة بـ (يوم القيامة) في بعض الآيات و في بعض الروايات و لذلك مثلا نجد في بعض الروايات الشريفة ان من علائم يوم القيامة الصيحة في شهر رمضان , ليس المقصود هنا (من علائم يوم القيامة) يعني قيام الساعة , و ليس هنا تصحيف في الرواية , من اسماء ظهور الإمام الحجة (يوم القيامة) و هذا المعنى نجد جليا في الروايات الشريفة , من كانت له خبرة في احاديث اهل البيت هذه المعاني يتحسسها بشكل واضح (يوم القيامة) ليس هنا تصحيفا كما رأيت في بعض كتب اصحابنا , يقول ان الرواية صحقت , هذا احتمال , محتمل , و إنما من معاني يوم الظهور يوم القيامة و حتى الساعة المذكورة في الكتاب الكريم , في الروايات الشريفة , في بعض الآيات , يُراد منها ساعة ظهور الإمام الحجة صلوات الله و سلامه عليه , فالقيامة لا يقصد منها فقط يوم الدين , اليوم الذي تُحشر فيه كل الخلائق , يوم المعاد الإلهي , القيامة تكون في قبر الإنسان , القيامة عند ظهور الإمام الحجة و ربما تكون القيامة في الحياة الدنيوية للإنسان كما وقع التعبير عنها في عبارات العرفاء و اهل السلوك , فالحساب هنا ليس فقط في تلك المرتبة , الحساب في كل هذه القيامات و الحساب في كل حال و هذه المعاني لا تفهم بهذه السرعة و لا تُضم بهذا الشكل السريع الموجز , هذه تحتاج إلى ترويض للنفس على هذه المعاني و تحتاج إلى مباحثة فيما بينكم و تحتاج إلى مُذاكرة و تحتاج إلى استماع الدروس عدّة مرّات و كلما ازدادت المباحثة و ازدادت المُذاكرة في مثل هذه المطالب كلما تتضح المعاني بنحو اوضح و بنحو اجلى .. إلى هنا ينتهي الكاسيت .

حديث في مراتب الخلق الأول و الخلق الثاني

ج ١٠

اللهم كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحُجَّةَ بن الحسن صلواتك عليه و على آبائه , في هذه الساعة و في كل ساعة , ولياً و حفاظاً , و قائداً و ناصراً , و دليلاً و عيناً , حتى تُسَكِّنَهُ ارضِكَ طوعاً , و تُتَمِّعَهُ فيها طويلاً بِرَحْمَتِكَ يا ارحم الراحمين

و آخر دعوانا ان الحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ
و صلى الله على سيدنا و نبيِّنا مُحَمَّد و آله الاطيبين الاطهرين

ملاحظة :

- (1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .
- (2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فيُرجى مراعاة ذلك

(و نسألُكم الدعاء لِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ)